بسم الله الرحمن الرحيم

" خطر كأس العالم على الشباب"

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم وبعد..

ها هو المونديال (كأس العالم) يعود من جديد وتعود معه الملاعب ممتلئة والشاشات مضيئة والقلوب معلقة والألسن تلهج بأسماء اللاعبين والمنتخبات، وفي كل أربع سنوات تتجدد صورة تستحق الوقوف عندها طويلاً.

ترى الشاب يحفظ أسماء اللاعبين وأرقام قمصانهم، وتاريخ انتقالاتهم وعدد أهدافهم ومواقفهم وتصريحاتهم، بل ربما عرف تفاصيل حياتهم أكثر مما يعرف تفاصيل حياة كثير من الأنبياء والصحابة، فلم تعد المشكلة في معرفة الأسماء، وإنما في منزلة تلك الأسماء داخل النفس حتى يمنحهم القلب منزلة.

فمن أكثر من ذكر شيء وتتبع أخباره فقد منحه منزلةً، فما يشغل فراغك هو الذي يشغل قلبك، فالفراغ مرآة القلب، وكما قال ابن تيمية: (من أدمن على أخذ الحكمة والأدب من كلام حكماء فارس والروم؛ لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع).ويقول أيضًا: (من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه؛ تنقص رغبته في سماع القرآن، حتى ربما يكرهه).

وانظر إلى قوله: (حتى ربما يكرهه) لتعرف أثر ما يداوم القلب على الالتفات إليه.

وخذها قاعدة أخي الكريم:(لا تزال نفسك تتشكل حتى تلقى الله، وتتشكل بحسب ما تكثر النظر فيه وتعتاده). فالجبال العظيمة لا تنحتها الرياح لقوتها وإنما لتكررها.

وكما للجبال عوامل تعرية فللقلوب عوامل تعرية حتى يتشكل القلب بضد ما كان عليه، وصاحبه لا يشعر، وهذا سر كثير من الانتكاسات التي تحدث.

فما تكرره على سمعك وبصرك وقلبك يومًا بعد يوم، يتحول شيئًا فشيئًا إلى جزء من شخصيتك وهويتك، فعلِّموا أبناءكم، واغرسوا في نفوسهم ووعيهم أن هؤلاء ليسوا بقدوات، وإنما قدوتنا محمد ﷺ وصحابته الكرام، فمن لم يختر قدوته بوعي ومعرفة، اختيرت له بغير وعي، يقول الله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]

ولذلك رأينا من أخذ يلبس قمصانهم ويضع صورهم على صدره، حتى إنه ربما يبكي إذا خسر أو انتُقد، فأي تعظيم هذا؟ وأي محبة طبعت في قلبه؟ وهذه القمصان التي على الصدر هي ترجمانٌ لقمصانٍ على القلب، وهذا الخطر الأعظم؛ فالأول قد يُنزع ولكن الثاني من ينزعه؟!

فالقلب وعاء، إذا امتلأ بشيء ضاق عما سواه.

واعلم أن القدوات أخطر من المعلومات؛ فالمعلومة تسكن العقل، والقدوة تسكن القلب، وكل معلومة هي لبنة لتشكيل جزء من قدوتك، فلا تزال المعلومات تتوارد حتى تتم صورة القدوة متربعة على القلب كاملة الخِلقة.

فلا تزال تطعمه وتغذيه من فؤادك وحبك وأحاسيسك وشعورك حتى يصبح وحشًا ماردًا بين جنبيك!

وقد حذر ابن القيم رحمه الله من إدمان النظر إلى الصور وتتبعها، وكان يسميها فتنة الصور، حتى هلك فيها كثير من الصالحين، فكيف بمن هو دونهم؟ وهنا تعلم لماذا قال الله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٩]

فلم يستثن الله من ينجو إلا صنفًا واحدًا، وهو من سلم قلبه، فالقضية لم تعد قضية هواية، بل قضية قلب يُقاد ويُعاد تشكيله، حتى ربما جر ذلك إلى تحسين عقائدهم ودياناتهم.

وأنت أيها الشاب، احذر أن يكون من تحرص على معرفتهم هم أعداء الله، ومن تتبع أخبارهم هم من لا يقيمون وزنًا لدينك ولا لنبيك، واجعل لقلبك نصيبًا من معرفة الأنبياء والصحابة وأئمة الإسلام.

فإن القلب إن لم يُشغل بالعظماء شُغل بالمشاهير، والعبرة بالكمال لا الشهرة، والقلوب السليمة إنما تتبع أخبار أكمل الخلق لا أشهر الخلق، والقلب إذا عرف العظماء والكُمَّل صغر في عينه من دونهم.

وكتبه د. حسن صنيدح العجمي

الأربعاء ٢ من المحرم ١٤٤٨ هـ الموافق: ٢٠٢٦/٦/١٧ م